الانتفاضة توسّع نطاق سيطرتها

في الوقت الذي تسعى الحكومة الاسرائيلية الى الالتفاف حول م.ت.ف. ومبادرة السلام الفلسطينية، من خلال زيارة رئيس الوزراء، اسحق شامير، لواشنطن، وطرح فكرة الانتخابات تحت الاحتلال، تصاعدت حدّة العنف في الاراضي المحتلة، قمعاً ومقاومة؛ فارتفع عدد الضحايا الفلسطينيين باطراد بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل)، فيما ازدادت أعمال حرق الاهداف الاسرائيلية ومهاجمتها بقنابل المولوتوف. ولكن السمات اللافتة الاخرى لهذه الحقبة الهامة تمثّلت في ظهور تبدلات معيّنة في سياسة الجيش الاسرائيلي، كمحاكمة، أو اقالة، بعض ضباطه، وتغيير نمط تواجد قواه على الارض، ممّا انعكس في توسيع السيطرة الفلسطينية. كذلك شهدت هذه الفترة استمرار العمليات الفدائية المنطلقة من خارج الارض المحتلة.

مؤشرات العنف

تدل الارقام والاحصاءات الصادرة عن مختلف الاطراف على اشتداد حدة المواجهة في الارض المحتلة خلال الفترة الاخيرة، حيث اكد الاحصاء اليومي، بالاسماء والاعمار وأماكن الاصابة، ان ٤٥ مواطناً فلسطينياً استشهدوا بفعل الرصاص الاسرائيلي، والضرب، واستنشاق الغاز، بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل). وارتفع مجموع عدد الضحايا منذ اندلاع الانتفاضة بذلك الى ٥١٤ على الاقل، حسب المصادر الغربية المطلعة، منهم ٣٩٤ قضوا بالرصاص، و١٢٠ بالضرب او الغاز (**ميدل ايست انترناشونال**، ٢٨/٤/١٩٨٩). ويزيد ذلك، طبعاً، على بعض الاحصاءات الغربية، والاسرائيلية، التي تتحدث عن سقوط ٤٢٠ شهيداً، مقابل مقتل ١٧ اسرائيلياً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/٤/١٩٨٩).

هذا، وتجسّدت المقاومة الفلسطينية، أيضاً، بارتفاع عدد المصابين اجمالاً، حيث استمر سقوط الجرحى بالعشرات. فقد سجلت المصادر الفلسطينية، بالاسم والسن والمكان، اصابة ما مجموعه ٥٥٠ فلسطينياً بين ١٣ آذار (مارس) والتاسع من نيسان (ابريل)، أي بمعدل ٢٠ جريحاً يومياً (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٢٦/٣/١٩٨٩، و٢ و٩ و١٦/٤/١٩٨٩). ويذكر ان عدد المصابين بمختلف انواع العيارات النارية بين هؤلاء قد بلغ ٣٧١ شخصاً. كما برزت حدّة المواجهة، ايضاً، من خلال النسبة المرتفعة للاصابات في أيام محددة، مثلاً في ٢٦ آذار (مارس) حين سقط عشرات الجرحى، لحقهم مئة جريح في ٣٠ الشهر ذاته، و١٣٥ في مدة ثلاثة أيام بين الاول والثالث من نيسان (ابريل)، و٦١ في الرابع من الشهر، و٣٠ في ١٣ منه.

تجدر الملاحظة، في هذا السياق، ان ارتفاع عدد الجرحى كان يوازي ارتفاعاً في عدد الشهداء، حين كانت تلجأ قوات الاحتلال الى العنف البالغ. وهكذا، فقد حصلت مجازر صغيرة عدة، كالتي وقعت في حي الشيخ رضوان في غزة، بتاريخ ١٨ آذار (مارس)، ممّا أدّى الى استشهاد ثلاثة فلسطينيين، بينما استشهد أربعة آخرون في ٢٦ الشهر. وشهدت مناسبة «يوم الارض» قمّة جديدة بالقمع؛ اذ استشهد خمسة مواطنين (احدهم في اثناء اعداد عبوة في بيت جالا)، أعقبهم ثلاثة آخرون في التاسع من نيسان (ابريل). لكن جاءت الجريمة الاكبر في ١٣ الشهر، حين اقتحم أفراد «حرس الحدود» قرية نحالين عند الفجر وهاجموا المواطنين بطريقة عشواء، فقتلوا ستة وجرحوا ٣٠ (**الحياة**، لندن، ١٤/٤/١٩٨٩). وقد خرقت منظمة الصليب الاحمر الدولي تقاليدها بعدم التعليق على الاحداث السياسية بالتصريح بأن الهجوم الاسرائيلي كان دون تمييز، أو قيد، وأنه انتهك الحقوق الاساسية والقانون الانساني (**انترناشونال هيرالد تربيون**،